

* * *

نَسيبَةُ بنتُ كَعْب

رَضِيَ اللّٰهُ عَنها

نجلاء شوقى حسن

نساء فى الإسلام

نَسيبَةُ بنتُ كَعْب

رَضِيَ اللَّهُ عَنها

تأليف

نجلاء شوقى حسن

الناشــر

مكتبة مصــر

٣ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

نَسيبَةُ بنتُ كَعْب

رضِيَ اللّهُ عَنها

جَلسَتِ السَّيِّدةُ أمامَ شاشَةِ التّليفِزيون ، تُشاهدُ حفلَ تَخريجِ دُفعَةٍ من ضُبّاطِ قُوّاتِنا المُسلَّحة ، فى فَرحةٍ وسُرور .

إذ دخلتْ عليها ابنَتُها حَنان ، قادِمَةً من المَدرَسة ، فقالتْ عِندَما رأتْ والِدتَها تُشاهِد التّليفزْيون :

ـــ يا سَلام يا ماما ! تَجلِسينَ تُشاهِدينَ التّليفزيون ، وتَترُكينَ شُغلَ البَيْت .. أليسَ هذا ما تَقولينَه لى يا ماما ، عِندما أَترُكُ اسْتِذكارَ الدُّروس ، وأجلِسُ أمامَ التّليفِزْيون ؟

قالتْ أُمُّها وهى تَضحك : أَيَّتُها الشَّقِيَّة ، إنّنى

(٤)

أحلُـمُ بـاليَومِ الَّـذى يتخـرَّجُ فيـه أَخـوكِ شَـريف مِثلَهم .

قـالتْ حَنـان : إنَّ شَـريف مـا يَـزالُ بالفِرقَـةِ الأولَى بالكُلِّيَّةِ الحَربيَّة ، إذ التَحقَ بها بعدَ نَجاحِه فى الثَّانويَّةِ العامّةِ منذُ شُهورٍ قَليلَة .

قالَت أُمُّهـا : إنَّ سَعادَتى لا توصَـف ، عندَمـا يطـرُقُ البـاب ، وأراهُ فـى بذلَتِـهِ العَسـكَريَّة ، وأقولُ له : تَفضَّل يا حَضرةَ الضّابط .

قالتْ حَنانُ فى سُـرور ، وهـى تَجلِـسُ بِجـوارِ والِدَتِهـا : وسـوفَ أكـونُ أنـا أُخـتَ حَضـرَةِ الضّابط ، الّذى يَحمى مِصرَ من شَرِّ الأعْداء .

ثمَّ قالتْ : هل تَعلمينَ يا ماما أنّنى كنتُ أتَمنّى أن أكـونَ ضابِطَـةً أحمِـلُ السِّـلاح ، وأُحـارِبُ

الأعداء ، وأحمى حُدودَ بلادى ، وليسَ هناكَ ما يمنَعُ أن أقودَ دَبّابَة ، أو أقودَ طائرَة ، مِثلَما يفعلُ الرِّجال . ولا شكَّ أنَّ هناك كَثيراتٍ مثلى يَتَمنَّينَ ذلك .

ضحِكتْ أُمُّها وقالتْ : كانَ ذلك مُمكِنا يا ابْنَتى ، لو أنَّ هناك نَقصًا فى عَددِ الرِّجال ، ولكنْ عِندَنا والحمدُ لِلّه ، الرِّجالُ القادِرونَ على حِمايَةِ وَطنِنا . والمَرأةُ فى الإسْلامِ قد جاهَدتْ وحارَبتْ فى مُختَلَفِ المَيادين ، ومِنها مَيْدانُ القِتال .

قالتْ حنانُ فى دَهشة : مَيدانُ القِتال ! تَقصِدينَ يا ماما أنّها حَملتِ السَّلاحَ وقاتَلتِ الأعْداء ؟

قالتْ أمُّها : نعم ، إنَّ هناك حِكايـاتٍ كَثيرة ، عن جِهادِ الـمَرأةِ فى الإسْلام .

قالتْ حنانُ فى لَهفَة : احكـى لى يـا مامـا عـن المَرأةِ الّتى حَمَلتِ السِّلاح وقاتَلتِ الأَعداء .

قالتْ أمُّها : سأحكى لكِ يا حَنان ، عن نَسيبةَ بنتِ كَعب ـ رضِىَ اللّه عَنها ـ منذُ أن أسْـلَمتْ إلى أن تُوفِّيَتْ .

سـارَعتْ حَنـانُ فـأغلَقتْ جِهـازَ التّليفِزيـون ، واعتدَلت فى جلسَتِها ، وأنصَتتْ فى شَوق .

قالتْ أُمُّها : انتَشرتْ دَعوةُ الإسْلامِ فى مَدينَـةِ يَـثرِب ، وسـارعَ كثـيرٌ مـن أبْنائهـا إلى الإيمـان بالرِّسالةِ الّتى نزلتْ على رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عَليـهِ وسـلّم ـ ، وخـرجَ رِجـالٌ كَثـيرونَ لِلقـاءِ

الرَّسـولِ فـي مكّـة ، وفـي مُقدِّمَتِهـم عـاصِمُ بـنُ زَيد ، وزَوجَتُــه نَسـيبةُ بنـتُ كعـب ، المُلقّبـةُ بـأُمِّ عِمارَة .

وهُناكَ في الشَّعبِ ـ أى مَوطنِ القَبيلَةِ الكَبيرة ـ بايَعوا النَّبيّ ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ على أن يَعبُدوا اللّهَ وحدَه ، لا يُشـرِكونَ بـه شَـيْئا ، وأن يَنصُروا دينَه ، وأن يَقولوا الحـقَّ لا يَخشَـوْن فيـهِ لَومَةَ لائم .

وبعدَ عَودتِهم إلى يَثرب ، قامتْ نَسيبَةُ بدَورِها فـى خِدمَـةِ الإسْلامِ خـيرَ قِيـام . فكـانت تُبشِّـرُ بالدّينِ الجَديدِ بينَ صَديقاتِها وجيرانِها .

وعندَما هاجرَ رسولُ اللّـهِ ـــ صلّـى اللّـه عَليـهِ وسلّم ـ إلى يَـثرب ، الّتـى سُـمِّيتْ بعـدَ وُصولِـهِ

إليهـا « المدينَـةَ الـمُنوَّرَة » ، ازْدادَ الـمُسلِمونَ فيها قُوَّة ، وأذِنَ اللّهُ للمُسلِمينَ أن يُدافِعـوا عـن أنفُسِـهم ، ويُحـارِبوا الّذيـن أخرَجوهـم مـن دِيارِهم .

وبـدأتْ نَسيبةُ بنتُ كعـب ، تتـدَرَّبُ علـى التَّمريضِ حتّى أتقَنَته ، كما تَمرَّنـت علـى حَمـلِ السِّلاح ، لتُدافِعَ عن نَفسِها إذا لَزِمَ الأمر .

وفـى غَـزوةِ بـدر ، خَـرجَ ابنُهـا عبـدُ اللَّـهِ مـع الُمقـاتلينَ تحـتَ رايـةِ الإسْـلام ، وكـان النَّصـرُ للمُسلِمين . وبهَذه الغَـزوةِ ، غَـزوةِ بَـدر ، فـرقَ اللَّـهُ بـين الحـقِّ والبـاطل ، فـأعزَّ الحـقَّ وأزْهـقَ البـاطِل . وصَـرع الـمُسلِمونَ أبطـالَ قُريـش ، وقَتلوا رُءوسَ الكُفرِ الّذين يُنكِـرونَ ديـنَ اللّـه ،

ويُريدونَ أن يُطفِئوا نورَه بأفْواهِهم .

وأخذَ كُفّارُ قُرَيش ، بعد هَزيمَتِهم فى بَدْر ، يُعدّونَ العُدَّةَ للثّأرِ من المُسلِمين . وتَقدَّم جَيشُهُم نحوَ المَدينَةِ المُنَوَّرة ، وخرجَ المُسلِمونَ للدِّفاعِ عن دينِهم ، وخرجَتْ نَسيبَةُ وراءَ الجَيش ، لتَسقى المُجاهِدين ، وتقومَ بأعمالِ التّمريض .

وبدَأت مَعرَكةُ أُحُد ، وانتَصرَ المُسلِمونَ فى جَولَتِها الأولَى ، ثمَّ خالفَ الرُّماةُ أوامِرَ الرَّسولِ بالثّباتِ فى مَواقِعِهم ، وانْشَغلوا بجَمعِ الغَنائِم ، فتَفرَّقتْ جُموعُهم ، ولم يَثبُتْ فى مَكانِهِ إلاّ رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ وجَمعٌ من كِبارِ الصَّحابةِ لا يزيدُ عددُهُم على عَشرَةِ

أفْراد . وأحاطَ المُشرِكونَ بالرَّسولِ وصَحابَتِهِ من كلِّ جانب ، يُريـدونَ القَضـاءَ عَليهِـم والخـلاصَ مِنهم .

وعندَمـا رأتْ نَسـيبَةُ بنـتُ كَعـب ، مَوقِـفَ المُسـلِمينَ الحَـرِج ، ألقَـتِ السِّـقاءَ مـن يَدِهـا ، واستَلَّت سَيْفا ، وانْدفعتْ تُدافِعُ عن رَسولِ اللّـه ـــ صلّـى اللّـه عَليـهِ وسـلّم ـــ وراحــتْ ترمـى بالقَوس ، وتَتلَقّى النّبلَ دونَه .

ويقولُ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ : ما التَفَتُّ يَمينًا أو شِمالا ، إلاّ وأنـا أَراهـا تُقـاتِلُ دونى .

وأقبـلَ عليهـا أحـدُ فُرسـان قُرَيـش ، شـاهرًا سَيفَه ، وضرَبها بالسَّـيف ، فتَلَقَّـت ضَربَتَـهُ علـى

التّرسِ فلم تَصنَعْ بها شَيْئا ، وضربتْ قَوائمَ فَرَسِه بسَيفِها فعَقرَته . ووقعَ الفارسُ على ظَهرِه . وعندَما حاولَ أن يَنهَض ، عاجَلَتْه نَسيبَةُ وابنُها بضَربَةٍ قَضتْ عليه .

وجُرحَ ابنُها عبدُ اللّهِ فى المَعرَكة ، وتدَفّقَ الدَّمُ من جُرحِه ، فأقبلتْ نَسيبَةُ وضمَّدتْ جُرحَ ابنِها ، والنّبىّ ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ واقِفٌ يَنظُرُ إلَيْها . وبعدَ أن انتهَتْ من عِلاجِ ابنِها قالتْ له :

ـ انهَضْ وحارِب القَوم .

فقالَ لها النّبىُّ ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ :

ـ ومن يُطيقُ ما تُطيقينَ يا أُمَّ عِمارَة ؟

وظهرَ الرَّجلُ الّذى ضرَبَ ابنَها عبدَ اللّهِ

وأصابَه ، فأشارَ إليه رسولُ اللّه ، وقالَ لِنَسيبَة :

ـ هذا ضاربْ ابنِك .

وتصدَّت نَسيبَةُ للرَّجل ، وضرَبتْ ساقَه فبَرَك ، ثمَّ طَعنتِ الرَّجلَ طَعنةً كانتِ القاضِيَة .

فتبَسَّم رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ وقال :

ـ الحمدُ لِلّه الّذى أظفرَكِ بعَدُوِّك ، وأراكِ ثأرَكِ بعَينِك .

وهجمَ أحدُ المُشركينَ على رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ يُريدُ قَتلَه ، فوقفَتْ له نَسيبةُ ومُصعَبُ بنُ عُمَير ، فقتلَ المُشرِكُ مُصعبَ بنَ عُمَير ، فوقَفتْ نَسيبَةُ فى وَجهِه ، فضَربَها ضَربةً هائلَة ، وأصابَها فى عُنُقِها إصابَةً شَديدَة .

ولكِنَّهـا لم تَضعُـف ، بـل راحـتْ تُوجِّـه لـه الضَّرَبات . ونـادَى رسـولُ اللّه ابنَهـا عبدَ اللّهِ وهو يُشيرُ له :

ـ أُمُّك .. أُمُّك .. اعصِبْ جُرحَها ، باركَ اللّه عليكُم أهلَ بَيت .

وسِمعتْ نَسيبَةُ دُعاءَ رَسولِ اللّـه ، فقـالتْ مُخاطِبةً إيّاهُ والدِّماءُ تنزِفُ مِنها :

ـ ادعُ لنا اللّهَ أن نُرافِقَكَ فى الجَنَّة .

فأجابَها رسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ :

ـ اللّهمَّ اجعَلهُم رُفَقائى فى الجَنَّة .

وهتَفتْ نَسيبَةُ حِينئذ : ما أُبالى ما أصـابَنى مـنَ الدُّنيا .

* * *

وكبِرَ ابنُها حَبيب ، وأرسَلَهُ الخَليفَةُ أبو بَكرٍ الصِّديقُ إلى مُسيلِمَةَ الكذّابِ برِسالَةٍ منه . لكِنَّ مُسيلِمَةَ لم يَرعَ حُرمَةَ الرُّسُل ، بل قَبضَ على حَبيبٍ وقَتلَه . وعلِمتْ نَسيبَةُ بما حدَثَ من مُسَيْلِمَة ، فنذرَتْ لِلّه أن تَشهَدَ مَقتَلَه ، وتُشارِكَ فيه .

وسارَ جَيشُ خَليفَةِ رَسولِ اللّه إلى مُسيلِمَة ، وفيه ابنُ نَسيبَةَ عبدُ اللّه بنُ زيد . وخرجَت نَسيبَةُ مع الجَيشِ فى هَودَج ، ولها من العُمرِ سِتّونَ عاما .

وقامَتِ الحربُ بينَ المُسلِمينَ ومُسَيلِمة ، وفى بدايَةِ المَعرَكة ، انْهزَمَ المُسلِمون ، وثبتَ القائدُ العَظيمُ خالِدُ بنُ الوَليد . وصاحَ فى المُسلِمين :

وامُحمَّداه ! . وارتَفعَ لِواءُ رَسولِ اللّه مرَّةً أُخرَى ، وأقبلَ الصَّحابةُ منَ المُهاجرينَ والأنصارِ يُقاتِلونَ طلبًا للنَّصرِ أو الشَّهادَة .

ورغمَ سنِّ أمِّ عِمارَةَ المُتقدِّمَة ، فقدْ سَحبتْ سَيفًا وشاركتْ فى الهُجومِ على مُسيلِمَةَ وجَيشِه ، مع كَوكَبةٍ منَ الأنصارِ فيهم ابنُها عبدُ اللّه . وتذكّرتْ جِهادَها وكِفاحَها مع رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ ، وتذكّرت دُعاءَ رَسولِ اللّهِ لها ولأَهلِها بأنّهم رِفاقُهُ فى الجَنّة ، فهَجمتْ لا تُبالى ، وأصابَها اثنا عَشَر جُرحًا فلم تَهتَمّ ، وقُطعتْ ذِراعُها من شِدَّةِ الهُجوم فلم تَتوقّف .

ووصلتِ الكَوكبَةُ إلى مُسيلِمَة ، ورَفعَ عبدُ

اللَّهِ سيفَه ، وقضَى بضَربَتِه الهائِلَةِ على مُسيلِمَةَ الكذّاب .

وعادَتْ أمُّ عِمارَةَ بذِراعٍ واحِدَة ، لكنّها عادَت بنَفسٍ راضِيَة ، لأنَّ اللَّهَ ـ سبحانَهُ وتَعالى ـ صدَقَ وَعدَه ، وأعزَّ جُندَه ، وهَزم الفِئَةَ المُرتَدَّة .

عادتْ راضِيَة ، وبَقِيتْ رَمزًا لِكفاحِ المُسلِمين ، حتّى انتقلَتْ إلى ربِّها راضِيَةً مَرضِيَّة .

نساء في الإسلام

(١) السيدة صفية رضى اللّه عنها

(٢) أم هانئ رضى اللّه عنها

(٣) أم ورقة رضى اللّه عنها

(٤) أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها

(٥) نسيبة بنت كعب رضى اللّه عنها

(٦) أم الدرداء رضى اللّه عنها

(٧) السيدة نفيسة رضى ال

(٨) السيدة زينب رضى اا

(٩) فاطمة بنت الخطاب رضى اا

(١٠) فاطمة الزهراء رضى ا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٥٠ قرشا